خطوة
ملحق العدد 44 - شتاء 2021

بطلي الخـــارق

قصـــة: هـجـــرة الصـــاوي
رسوم : مصطفى برشومي

لماذا لا أطير؟! ياله من سؤال شغلني طويلاً وحيَّرتني إجابته! فأنا أفعل ما يلزم تماماً. ولكن لا أطير مثله. هآآ! ألم أقل لكم من هو؟ إنَّه بطلي المُفضَّل. لماذا لا يصبح بطلي وهو يملك قوةً خارقة! يطير فوق السحاب. يسابق الطائرات النفاثة ويدور في الفضاء. يمسك النيازك قبل أن تصطدم بكوكب الأرض ويُطوِّحها بعيداً خارج المجرة. ينقذ البشر ويقبض على اللصوص والأشرار.. إنَّه سوبرمان.

لقد تدربت كثيراً على الطيران. كم وقفت على ظهر السرير الخشبي وقفزت لأعلى وكسرت ألواحه. تسلقتُ كثيراً باب غرفتي بقدمي ويديّ كالوَزَغ* .. وقفزتُ للأمام لكني كنت أسقط على عتبة الباب كالحجر. لم أكن أيأس.. كنت أهمس لنفسي «لابُدَّ أن أستمر في محاولاتي وأطير مثل سوبرمان؛ فهو لا يزيد عني في شيء»!

ذات مرة، لبست سروالي الداخلي فوق بنطالي الأزرق. وربطت على ظهري شال أمي الأحمر. وصعدتُ فوق خزانة الملابس وشددت قبضتي اليُمنى ونظرت إلى أعلى بكبرياء وانطلقت بحماس. طرت مسافة ارتفاع الدولاب.. ثم بقيتُ في فراشي حتى شفى قدمي. ليلتها باتت أمي إلى جانبي تكلمني وأنا أرفع جبيرة ساقي: حبيبي.. لا تُصدِّق كل ما تراه في أفلام السينما. إنَّ بعضه خيال، مثل سوبرمان.

* الوَزَغُ، والأنثى وزعة؛ حشرة زاحفة كريهة المنظر، أبرص، لذا يُسمَّى في عُرفنا «أبو بريص».

صحت مُعترضاً: لا.. بطلي يطير. إنَّه يملك قوةً خارقة يا أمي. لقد رأيته بعيني!
سحبت أمي من جانبها كتاباً كبيراً وفتحته أمامي، وقالت بحنان: انظر.. هذا كتاب يُصوِّر لنا كيف يصنعون بعض الخدع السينمائية في الأفلام. انظر.. تلك الخدعة اسمها «كروما». يُصوِّرون الممثل على خلفية ذات لون واحد كالأخضر مثلاً؛ ثم يقومون بإخفاء اللون خلفه ويُركِّبون خلفية مُتحرِّكة.. فُيَبدُو لنا أنَّ البطل يطير.
نسيت فمي مفتوحاً للحظات من الدهشة: هاآآآ! سوبرمان عندما يرفع قبضته اليُّمنى وينظر إلى أعلى لا يطير حقاً ؟! لا يملك قوةً خارقة!
ضحكت أمي قائلة: إنها خدعة سينمائية.. الإنسان لا يطير. ربما لو فكَّر بطريقةٍ علمية وتغلَّب على الجاذبية الأرضية، يستطيع الطيران.. ولكن لا يكفي أن يرفع قبضته وينظر إلى أعلى.
همستُ بحسرة: لكني أحب سوبرمان. كنتُ أريد أن أكون بطلاً خارقاً وأنقذ الناس مثله.
همستْ أمي: ما زلت تستطيع.
نظرتُ لها في حيرة: كيف؟!

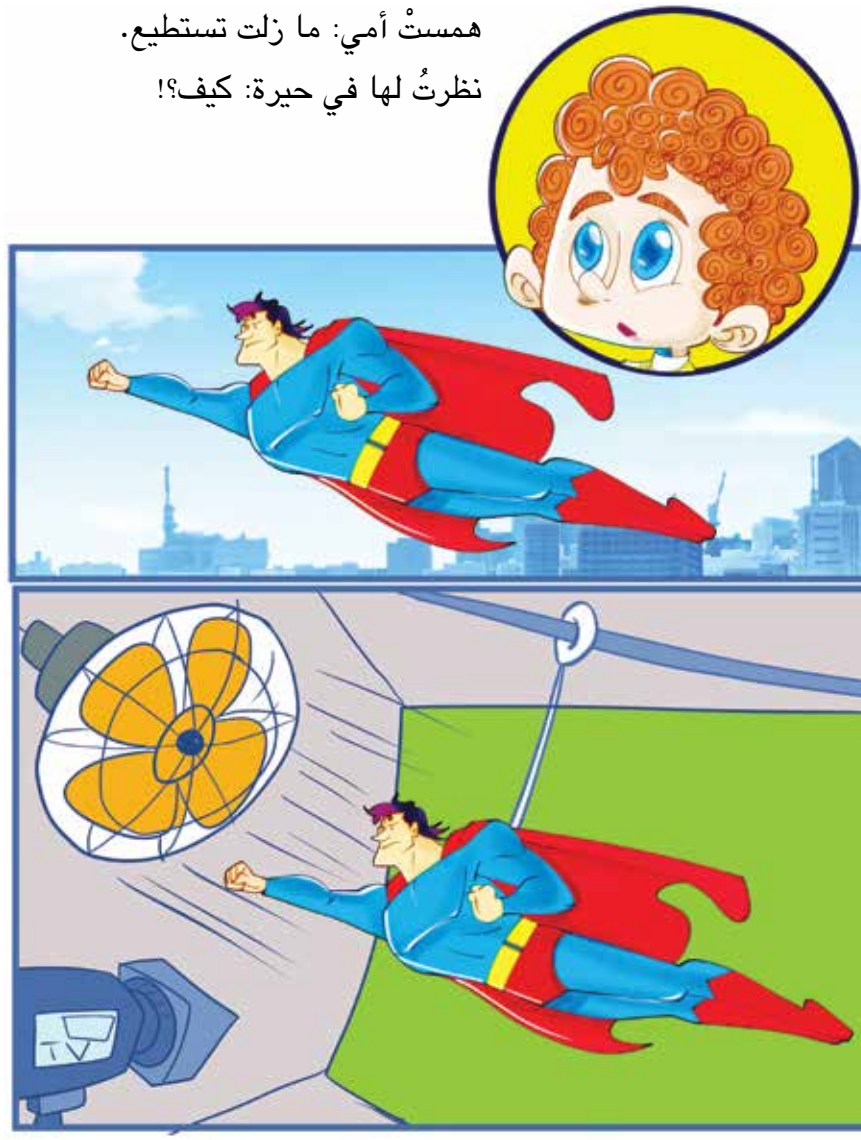

قالت: هناك أبطالٌ حقيقيون في الحياة.. صاروا أبطالاً بالعلم. تعلَّم واقرأ كثيراً. ها أنت اكتشفت معي كيف يصنعون الحيل في الأفلام لتبدو حقيقةً تراها بعينيك. أنا قرأتُ هذا الكتاب وعرفت. وفتحته أمامك لتعرف أيضاً. العلم يفتح لك أبواباً كثيرة. ويكشف لك طُرقاً تساعد بها من حولك. المعرفة هي القوة الخارقة التي تنقذ البشر.

لم أنس آخر كلمات قالتها أمي. تلك الكلمات جعلتني أرى من حولي أبطالاً خارقين. الجندي بطل لأنَّه يُضحي بنفسه ليحميني. الكنَّاس بطل لأنَّه يعمل قبل شروق الشمس ويُنظِّف لنا الطريق. شرطي المرور بطل لأنَّه يحمي حياتنا في شوارعنا ومركباتنا. المهندس بطل لأنَّه يبني مساكن ويبتكر آلات تُوفِّر للبشر حياةً آمنة. أبي وأمي أبطال، لأنَّهما يتشاركان في تربيتي ويعملان بجد ليُوفِّرا لنا لقمة العيش. كل من يَجِدّ ويعمل، أصبح في نظري بطلاً. وها أنا الآن طبيبٌ في المستشفى، أنقذ وأُعالج الأطفال وهم يضحكون لي وأنا أرتدي عباءة سوبرمان؛ بطلي الخارق.